عن الدكاترة زكي مبارك ..

والذين يتبعهم الغاوون[1]

مباركيات

في ديوانه «ألحان الخلود» - وهو مليء بقطع نثرية هنا وهناك - يورد صاحب الديوان الدكتور (آسف! الدكاترة) زكي مبارك - رحمه الله - عجائب من الاعتداد بالنفس.

يقول على سبيل المثال لا الحصر:

* «ستَبِيدُ أحجار الجامعة المصرية ويبقى كتابي (النثر الفني)».

* «ولن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً في نقد هذا الديوان، فما عرفَتِ اللغة العربية في تاريخها القديم، وتاريخها الحديث، قلماً أمضَى من قلمي، أو بياناً أبلغ من بياني».

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٧م).

obeikandl.com

* «لقد نظمت أكثر من ثلاثين ألف بيت في غرض واحد هو التغنّي بجمال الجمال».

قال أبو يارا:

* نظم المتنبي أقل من ستة آلاف بيت معظمها من الشعر الحقيقي. أما الدكاترة، ذو الثلاثين ألفاً فلمْ أعثر في شعره كله إلا على بيتين اثنين من الشعر الحقيقي هما:

بقيّةٌ من صباك الغض باقية
وجذوة من غرامي وَقْدُها باقي

تعالِ نحيي شهيدَ اللهو ثانية
ونصرعُ الهم بين الكأس والساقي

ورُبّ بيتٍ بألف قصيدة!

جاهينيات

للشاعر المبدع - والرسام الموهوب - صلاح جاهين رباعيات جميلة نقتطف منها هاتين الرباعيتين:

كــرباج ســعــادة وقلبي منه إنجَلدْ

رَمَـح كـأنــه حـصـــان ولـفّ البلـدْ

ورجعَ لي نُص الليل.. وسـألني ليـه:

«خجلان تقول إنك سعيد يا ولـد؟»

عجبي!

مزيكة هاديه .. الكون فيـهـا انغـمرْ

وصيفْ .. وليلْ.. وعُقد فل.. وَسمَرْ

يا هلتـرَى النـاس كلهم مـبـسـوطين؟

ويا هلتـرى شايفـين جمـال القمـر؟

عجبي!

قال أبو يارا:

* ومن عجيب أمر هذا الشاعر الذي يدعونا إلى السعادة بهذه الحرارة أنه مات ضحية الكآبة..

وكان سبب كآبته الرئيسي أنه فقد أكثر من نصف وزنه نتيجة ريجيم قاسٍ اتبعه بعد مرضه.

قال أبو يارا:

* دلت البحوث التي أجريتها بنفسي على عدد كبير من الزملاء والمعارف أن الإنسان عندما يفقد شيئاً من وزنه يفقد معه شيئاً من خفة روحه.. ومن سعادته.. ومن انشراحه..

فيا عُشَّاق الرجيم ويا عاشقاته:

حذارِ! حذارِ!

جسد سمين خير من روح هزيلة!

* وقد ترك شاعرنا لابنه وصية مؤثرة:

أوصيك يا ابني بالقمر والزهُورْ

أوصيك بليل القاهرةِ المسحورْ

وان جيت في بالك.. اشتري عقد فل

لأي سمرا .. وقبري أوعى تزورْ

عجبي!

قال أبو يارا:

* أواه! أثرت الكثير من المواجع!

ليل القاهرة المسحور!

وعقد فل!

وسمراء !

رحمك الله أيها الشاعر الكبير..

وزاد ليل القاهرة سحراً!

حزميات

قال الإمام الجليل ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - في كتابه الشهير «طوق الحمامة» تحت باب الوصل:

ومن وجوه العشق الوصل، وهو حظ رفيع، ومرتبة سرية، ودرجة عالية، وسعد طالع، بل هو الحياة المجددة، والعيش السني، والسرور الدائم، ورحمة من الله عظيمة.. ولقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها، فما للدنو من السلطان، ولا للمال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن بعد الخوف، ولا التروح على المال، من الموقع في النفس ما للوصل، لاسيما بعد طول الامتناع وحلول الهجر، حتى يتأجج عليه الشوق. وتتضرم نار الرجاء.

وما أصناف النبات بعد غِبِّ القطر، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحب السواريات. في الزمان السجسج، ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار، ولا تأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه، وتقابلت في الحسن أوصافه، وإنه لمعجز ألسنة البلغاء، ومقصر بيان الفصحاء، وعنده تطيش الألباب، وتغرب الأفهام.

قال أبو يارا:

* رحم الله الفقيه العظيم الإنسان..

لو وُجِدَ في أيامنا هذه لما عدمنا من يطالب بمنع كتابه!

بحارنيات

يقول صديقنا الشاعر تقي البحارنة يصف نادلة (أي جرسونة) جميلة رآها في مؤتمر للبرلمانيين العرب تقدم الطعام للبرلمانيين الأفاضل:

فمشوا إلى غرف الطعام.. مع الهنا والعافيهْ

فالكل يدعو «ناديهْ» .. ويقول: «هاتي زاديهْ!»

إلا أنا ! .. فلقد فُتِنتُ بها .. وليست داريهْ
فأقول: قد تأتي عساها صدفَة .. أو ثانيهْ
تشتاق نفسي للطعام إذا مشَتْ بإزائيهْ
وافترّ مبسمها .. وضوّع عطرها في الآنيهْ
لاموا .. ولو عرفوا الحقيقة .. ما تجنَّوا ثانيهْ
إن الطعام يلذ من أيدٍ لطافٍ حانيهْ
ويسوء إن جاءَت به حوشيةٌ .. وزَبانيهْ.

قال أبو يارا:

* أما أنا فأرى الطعام اللذيذ لذيذاً ولو قدمه لي «نادل» يشبه نتنياهو!!

جبرانيات

كتب الأديب الشهير جبران خليل جبران إلى حبيبته مي زيادة، وقد كانت حبيبته بالمراسلة (أخبرني مَنْ أثق فيه أن حبَّ المراسلة قد انقرض مع تفشي الهاتف الجوال)، كتب يصف وضعه الصحي:

أي مي، في العامين الماضيين قد حَمَّلت جسدي فوق طاقته، فكنت أصوّر ما دام النور، وأكتب حتى

الصباح، وألقي المحاضرات، وأختلط بجميع أنواع البشر - وهذا العمل الأخير هو أصعب شيء أمام وجه الشمس (تعليق من أبي يارا: صدق جبران!) وكنت إذا جلست إلى مائدة الطعام أشغل نفسي بالكلام والمتكلمين حتى تحضر القهوة فأتناول منها الشيء الكثير وأكتفي بها طعاماً وشراباً.

قال أبو يارا:

* من أسخف الأوهام التي يشيعها الشعراء أن فقدان الشهية من علامات النبوغ وهو في حقيقته من علامات المرض..

ولعل المشكلة في «النادل» الذي لم يكن شكله مثل «نادية»!

شيراويات

قال أبو يارا:

* كنا في مؤتمر من مؤتمرات الجامعة العربية التي لا تنتهي، ووقف أبو أحمد يوسف الشيراوي خطيباً - وأنا كلما وقف معاليه خطيباً أمسكت قلبي بيدي - فخطب خطبة بتراء بدأها فقال عن الجامعة العربية،

في حضور حشد من موظفيها: «هذه الجامعة مصابة بمناعة وحصانة، مناعة ضد الموت، وحصانة ضد التطور».

ساد القاعة صمت ووجوم.. وسالت بعض الدموع.

عند انتهاء الخطبة جاءني أبو أحمد باسماً وقال:

- بغيت أهاجم الجامعة.

قلت له:

- بغيت؟!

قال:

- بغيت!

.. وأطلقها أبو أحمد مثلاً!

وقال أبو يارا:

* كنا في مؤتمر من مؤتمرات الصناعة التي لا تنتهي، وتحدَّث أمين عام المنظمة حديثاً طويلاً ضمّنه منجزات المنظمة، واستغرق أكثر من ساعتين، وقف أبو أحمد للتعليق والتعقيب، وتوقع الجميع سماع الثناء المعتاد، إلا أن أبا أحمد قال:

«تكلم الأمين العام طويلاً، فوصل كلامه إلى قلوبنا،

obeikandl.com

ولكنه لم يصل إلى عقولنا»..

ساد الصمت.. وأصيب الأمين العام بنوبة من الصرع المصحوب بالتشنج والصراخ والعويل..

جاءني أبو أحمد مبتسماً وقال:

- بغيت أهاجم الأمين العام.

ورَدَّتْ القاعة كلها:

- بغيت ؟!!

* * *

obeikandl.com